قضايا إسلامية

أثر الدعوة الإسلامية في بناء المجتمع الربّاني وتشكيل العقل المسلم

من قلب الظلام بدأت خيوط الضوء تكشف نورها

وكان أولها وأهمها إعلان روح المقاومة وإحياء فريضة الجهاد

للأستاذ : أنور الجندي

منار الإسلام - العدد الخامس السنة السادسة عشرة جمادى الآخرة ١٤١٠ هـ
١٨ كانون الثاني ١٩٩٠ م

كان من أكبر أخطاء دعاة التنوير والغزو الثقافي ظنهم : أن النهضة ستشرق من الغرب وأن المسلمين والعرب يجب أن يتخلوا عن كثير من مفاهيمهم في سبيل تحقيق القدرة على الدخول في دائرة الحضارة الغربية وامتلاك التكنولوجيا وظلت هذه الفكرة المسمومة مسيطرة على العرب والمسلمين دون أن تعطيهم تطوراتُ الأحداث عبرة أو عظة، حتى وقعوا في أزمات الهزيمة والنكبة والنكسة لينتهوا أن للمسلمين منهجهم وطريقهم الذي لايمكن أن يتحقق لهم امتلاك الإرادة أو النصر إلا عن طريقه.

وقد تبين أن مشروع النهضة الذي أعده لطفي السيد وطه حسين وسلامة موسى لم يكن قائما على الأسس الحقيقية التي يجب أن يقوم عليها مشروع نهضة أي أمة وهي القيم الأربع : العقيدة واللغة والتاريخ والتراث ومن هنا فإن كل ما اتهم به هذا المشروع من قصور وما تحقق له من عجز عن إقامة مجتمع أصيل قادر على الاندفاع على طريق التقدم هو أمر صحيح، فقد حرص هؤلاء على أن يعزلوا الأمة الإسلامية عن مجرى تاريخها وأن يسدوا القنوات التي بناها لهم الإسلام منذ

أربعة عشر قرنا، وطرح هؤلاء اسماء جديدة قائمة على الاقليمية الضيقة، كالأدب المصري، والتاريخ المصري، والتراث المصري، علماً بأن مصر لم يكن لها خلال أربعة عشر قرنا من تاريخ مستقل عن الأمة الإسلامية، فضلا عن إعلاء شأن الفرعونية في مصر والفينيقية في لبنان، والآشورية في العراق وبذلك تمزقت الأمة وراء تواريخ جزئية قاصرة بينما كانت الأمة تصدر عن تكامل جامع بوصفها الأمة الإسلامية الممتدة من ارخبيل الملايو إلى الدار البيضاء، حيث تتوازن عناصرها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية وتتلاقى.

كان واضحاً أن أصحاب مشروع النهضة الذي طرح على المسلمين من خلال مدارس الإرساليات وبعثات المدارس التبشيرية وقيادات

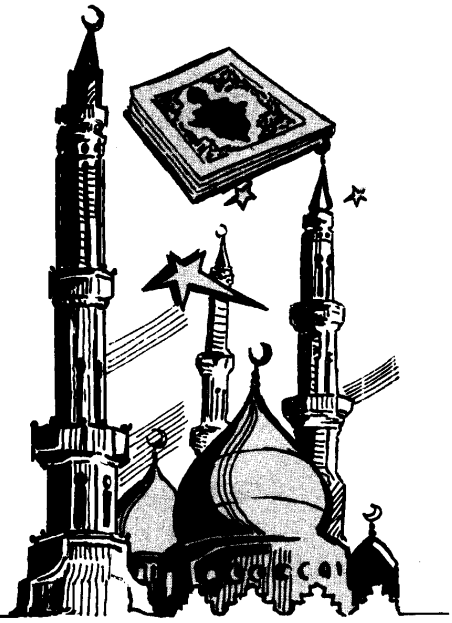

المستشرقين وولايتهم على تلك الأسماء اللامعة التي ترجمت كتب الاستشراق لتجعلها أساسا لعصر جديد منفصل عن التاريخ الإسلامي يبدأ بالحملة الفرنسية ويتحرك في إطار اقليمي، يرمي أساساً إلى تمزيق وحدة هذه الأمة والتمهيد لتصفية الدولة العثمانية والخلافة الإسلامية وفتح الطريق أمام اليهودية العالمية إلى فلسطين، كان الهدف واضحا هو القضاء على الجامعة الإسلامية باعتبار ذلك منطلقاً حقيقياً لتمزيق كل القيم والقدرات التي عرفتها الأمة من خلال العقيدة أو اللغة أو التاريخ أو التراث.

ولكن الأحداث استطاعت أن توقظ المسلمين وتكشف لهم المغالطة والمؤامرة، ولتقرر في وضوح أن مشروع النهضة «المغرّب» قد أعلن إفلاسه، وأن الإسلام لم يشترك في قيادات الهزيمة والنكبة والنكسة حتى يتحمل أوزارها.

ومن قلب هذا الظلام الشديد بدأت خيوط الضوء تكشف نورها وكان أولها وأهمها استعلان روح المقاومة واحياء فريضة الجهاد، ظهر ذلك في معركة الجزائر، وحرب رمضان ومعركة افغانستان (ومايزال) وفي ثورة الحجارة الباهرة.

وإن كانت الجزائر التي حاربت تحت لواء (لا إله إلا الله) قد سرقت ثورتها ليلة انتصارها فإن الأمر لم يكن إلا مجرد اغفاءة قليلة عادت فيها دماء الإسلام إلى عروق المسلمين قوية دفاقة على مانرى اليوم ونسمع في اجواء الحرية وهذا هو التيار الأصيل الذي قدمته الدعوة الإسلامية حين علّمت أتباعها (صناعة الموت) وبدأت ذلك في معركة فلسطين في أول مراحلها على نحو لم يعرف له التاريخ الحديث مثيلا، وهاهو يعود بعد أن عجزت كل وسائل وأساليب الخداع السياسي ليقدم نفسه على أنه الحل الأمثل.

● أثر الدعوة الاسلامية :

الدعامات الثلاث

ولقد وضح اليوم أن هذه الأمة يجب أن تكون على تعبئة وأن يكون ابناؤها على استعداد للتضحية والاستشهاد وأن يعلموا صدق حديث رسول الله ﷺ في مواجهة خطر العدو الماثل القائم على مجتمعنا اليوم في محاولة لاحتوائنا وإبادتنا. (ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي).

والرمي في عصرنا اليوم هو الصاروخ القادر على حماية أمتنا وعلامة قدرتها على الردع. وهذه هي الدعامة الكبرى في مشروع النهضة الإسلامية اليوم.

أما الدعامة الثانية فهي تحرير المال الإسلامي من حرمة الربا وتقديم منهج الإسلام في مجال الاقتصاد.

وإذا كانت هذه الدعامة تواجه اليوم امتحاناً شديداً فإن كل المحاولات التي جرت من أجل تزييفها أو حجبها أو هدمها قد باءت بالفشل وان الأمة الإسلامية المؤمنة بربها ماتزال تطلب صيغة إسلامية للتعامل الاقتصادي.

أما الدعامة الثالثة فهي المرأة المسلمة التي عرفت طريق ربها، وأسلمت وجهها إلى الله تبارك وتعالى من خلال فهم حقيقة رسالتها ومسؤوليتها نحو بيتها وزوجها وأولادها.

وقد تكشف لها زيف تلك الدعوة المضللة التي قادها كرومر عن طريق قاسم أمين ونازلي فاضل تحت اسم (تحرير المرأة).

أما الدعامة الرابعة فهي : (تحرير أدوات التسلية والفن والمسرح من الإباحيات وسموم الجنس والإغراء والفساد الخلقي) فقد أصبح ذلك مطلبا عاما، وقد تبين للناس مدى الأثر الخطير لهذه المسرحيات المكشوفة في هدم الأسر

٣ تيارات خطيرة تصارع اليوم في أفق الفكر الإسلامي

والبيوت وافساد أخلاق بناتنا وأولادنا، وعرفوا ماوراء ذلك من أهداف وغايات ترمي إلى تدمير الحصانة النفسية والجسمية والاجتماعية في شبابنا الذي يجب أن نعده لحماية هذه الأمة والمرابطة في ثغورها.

تحديات خطيرة

ومايزال أمام الدعوة الإسلامية مراحل عديدة وتحديات خطيرة أهمها مجال التربية والتعليم

والمخاطر التي تسببها التبعية لمناهج الغرب التي تحاول أن تقدم عقيدتنا ولغتنا وتاريخنا وتراثنا بأسلوب انتقاص كمال هذه المناهج في محاولة لخلق جو من الكراهية والاحتقار لمنهج الإسلام الذي أعطى البشرية الضياء والنور وأخرجهم من الظلمات.

وهنا نركز على مخاطر مناهج الثقافة والتعليم الوافدة حيث تتصارع اليوم في أفق الفكر الإسلامي ثلاثة تيارات خطيرة.

الأول: مفاهيم الفكر الغربي الليبرالي المتخذ من التراث اليوناني والروماني ومفاهيم النصرانية الوافدة لا المنزلة.

الثاني: مفاهيم الفكر الماركسي الشيوعي المتخذ من نظرية انجلز ماركس ولينين وهي التي سقطت اليوم في بيئتها سقوطا شنيعا وإن كانت لاتزال تجد من أوليائها في بلادنا العربية والإسلامية من يدافع عنها وينادي بها.

الثالث: المفاهيم المسمومة التي أوجدتها اليهودية العالمية من أجل دعواها عن حق مزعوم من خلال الاسطورة القديمة ومايتبعه من نظريات باطلة يراد بها انتقاص العرب وكيانهم ووجودهم التاريخي.

وتمتد آثار الصهيونية والفكر التلمودي إلى الأدب والفن والثقافة وما يتصل بذلك من نظريات باطلة لهدم الإسلام والقرآن والنبوة والغيب وماتزال نظريات الداروينية والوجودية والفرويدية والعلمانية والفلسفة المادية والتفسير المادي للتاريخ والجدلية والجبرية المنطقية تدرس لابنائنا في الجامعات والمدارس على أنها علوم وحقائق، بينما هي لاتزيد عن أن تكون وجهات نظر تخطىء وتصيب والضلال هو الغالب عليها وقد كتب الكثيرون في الكشف عن زيفها وأخطائها وقد تبين للناس كيف أنها عجزت عن العطاء واحتاجت إلى الإضافة والحذف.

القضية الأساسية

وتبقى بعد ذلك القضية الأساسية الكبرى: قضية الشريعة الإسلامية ونظام الحكم الإسلامي والمطبات التي تقف في وجه تطبيقها، بالرغم من أنها ثابتة في كثير من دساتير البلاد العربية والإسلامية بوصفها المصدر الأساسي للتشريع فهي حقيقة أساسية وقاعدة الأساس.

وقد تبين مدى عظمة التشريع الإسلامي بالمقارنة مع القانون الوضعي الذي فرض على المسلمين في فترة من فترات ضعفهم واحتلالهم فهم لم يأخذوه بإرادتهم ولكنه فرض عليهم لصالح النفوذ الأجنبي الذي كان ولايزال حريصاً على نهب ثروات الأمة الإسلامية والحيلولة دون امتلاك إرادتها، وقد جاءت شهادة علماء القانون العالمي في عديد من مؤتمراتهم على مدى تاريخ طويل يمتد أكثر من سبعين عاماً بالاعتراف والتقدير بفضل الشريعة الإسلامية وسماحتها وكمالها واستقلاليتها عن القانون الروماني ومدى دهشة رجال القانون لقوم - هم نحن العرب المسلمين - يتركون هذا الكنز العظيم ويأخذون فتات موائد الغرب.

ولقد خطا المسلمون خطوات جديدة في مجال تطبيق الشريعة حين قامت كثير من البلاد العربية والإسلامية بتقنين الشريعة الإسلامية ووضعها في نظام عصري وحين أقامت تلك التجمعات الجامعة بين رجال القانون ورجال الاقتصاد ورجال الفقه الإسلامي لوضع هذه القوانين في صورة قادرة على إسعاد المجتمعات الإسلامية حين يتم تطبيقها.

● أثر الدعوة الاسلامية :

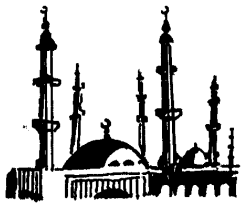

وبـالـرغم من التوقف والجمود على عدد جبهـات البـلاد العـربيـة فقـد حققت الـدعوة الإسلامية خطوات في مجال الانتخابات البرلمانية وانتخابات هيئات التدريس والنقابات العامة على نحـو يؤكد الثقة الكاملة بتلك العناصر المسلمة المخلصـة وجدارتها بالقيام بدور ايجابي في قيادة الأوطان وتحررها من النفوذ الأجنبي.

بدا ذلك واضحاً في الجزائر والأردن، ومصر، والسودان، وباكستان، فضلاً عن تلك الكتائب المؤمنـة في تركيا وتونس وغيرها، مما يؤكد عمق أصالة الصحوة الإسلامية التي تواجه الآن حربا في الداخل وفي الخارج، ويأتي بعد ذلك النضال الـذي يقـوم به المسلمـون في بلاد الغـرب والتحديات التي يواجهونها والأزمات التي تحيط بهم والأجيال الجديدة التي يخشى عليها ان تنصهر في بوتقة الغرب فتفقد إيمانها بربها، ويقف الغرب كله موقف الخصومة في وجه هؤلاء المؤمنين الذين ليس لهم مغنم مادي ولا هوى ولا مطمـع وانما يريدون أن يقدموا الإسلام للناس ويبلغوه لأهل الأرض وتكاد تكون هذه الصورة اليوم في مطلع العقد الثاني من القرن الخامس عشر وهي تحمل الإصرار والثبـات في وجـه الأحـداث إيماناً بالله تبارك وتعالى وحق الإسلام في الحياة.